سلسلة السياسات البيئية

ما وراء الحل التكنوقراطي: المزارعون العراقيون والتكيّف المحلي مع تغيّر المناخ

طيف الخُضيري

نُشر من طرف:

مبادرة الإصلاح العربي
مبادرة الإصلاح العربي هي مؤسسة تفكير عربية مستقلة تعمل بالشراكة مع خبراء في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وخارجها لصياغة برامج محلية واقعية تهدف إلى التغيير الديمقراطي والعدالة الاجتماعية. وهي تُجري البحوث وتقدّم تحليلات في مجال السياسات وتوفر منبراً للأصوات الملهمة استناداً إلى مبادئ التنوع والحياد والمساواة بين الجنسين.

https://www.arab-reform.net/ar/

عن الكاتبة

طيف الخُضيري هي طالبة دكتوراه في قسم السياسة والدراسات الدولية في جامعة كامبريدج. سابقًا، كانت موظفة بحثية في مركز الشرق الأوسط بجامعة لندن للاقتصاد. في الماضي، عملت أيضًا في عدة منظمات حقوقية، حيث قامت بإجراء التقاضي الاستراتيجي في قضايا انتهاكات حقوق الإنسان في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

عن هذه الدراسة

هذه الدراسة جزء من مشروع دِراية التابع لـ مبادرة الإصلاح العربي، والهادف إلى تطوير البحث الشامل من خلال النشاط والمناصرة المستنيرة. يركز المشروع على العمل الميداني والبحث متعدد المنهجيات في كل من العراق ولبنان والمغرب وتونس، حيث يستكشف كيف تقوم المجتمعات والمنظمات في الخطوط الأمامية بالتعبئة حول القضايا البيئية باعتبارها متشابكة مع غياب العدالة على المستوى الاجتماعي-الاقتصادي والسياسي في جميع أنحاء المنطقة. مشروع دراية هو جزء من شبكة تحالف المعرفة لحماية المدافعين عن البيئة (KALLIED)، التي تضم 32 منظمة من 22 دولة الجنوب العالمي، ويتم تمويلها من قبل مركز بحوث التنمية الدولية (IDRC) في كندا.

إخلاء المسؤولية:

إن المعلومات والآراء الواردة في هذا التقرير هي معلومات وآراء المؤلف (المؤلفين) ولا تعكس بالضرورة آراء مبادرة الإصلاح العربي أو موظفيها أو مجلس إدارتها أو مموليها.

© 2025 مبادرة الإصلاح العربي.

يسمح هذا الترخيص لمُعيدي الاستخدام بتوزيع المواد وإعادة مزجها وتكييفها والبناء عليها بأي وسيط أو تنسيق لأغراض غير تجارية فقط، وفقط طالما تم ذكر المصدر. إذا قمت بإعادة مزج المواد أو تكييفها أو البناء عليها، فيجب عليك ترخيص المواد المعدلة بموجب شروط مماثلة.

صورة الغلاف: مزارعو الأرز في المشرّح، العراق - حزيران/ يونيو 2018.
© سيباستيان كاستيلييه/شترستوك

أيلول/سبتمبر 2025

المحتويات

ملخص تنفيذي وتوصيات 1
المنهجية 4
التكيّف التكنوقراطي في القطاع الزراعي 5
محدودية النهج التكنوقراطي 6
استراتيجيات التكيّف المحلية 8
مقاومة الجفاف والنيوليبرالية 8
التعامل مع ندرة المياه والهرميات السياسية 10
نحو نهج تحويلي؟ 11
الخلاصة 11

ملخص تنفيذي وتوصيات

اتخذت الحكومة العراقية والمنظمات الدولية العاملة في البلاد نهجًا تقنيًا للتكيّف مع تغيّر المناخ. في القطاع الزراعي، قدمت الحكومة حوافز للمزارعين لتبنّي أساليب زراعية مستدامة على شكل إعانات وقروض لشراء أنظمة الري بالتنقيط والألواح الشمسية. كما تشتري الحكومة القمح بسعر أعلى قليلاً من المزارعين الذين يستخدمون تقنيات زراعية مستدامة. من جانبها، شكلت المنظمات الدولية سياسات الحكومة العراقية بشأن التكيّف مع المناخ، وزودت عدداً قليلاً من المزارعين بأنظمة الطاقة الشمسية والري بالتنقيط. كما سعت إلى توفير التدريب للمزارعين على تقنيات الزراعة المستدامة، وصيانة أنظمة الطاقة المتجددة.

لم تنجح هذه الأساليب التقنية في معالجة التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية والهرميات السياسية التي يتعين على المزارعين التعامل معها لممارسة الزراعة، وتجعل بعض الفئات الاجتماعية أكثر عرضةً لتغيّر المناخ من غيرها. لا يستطيع العديد من المزارعين تحمل تكاليف الحصول على قروض لشراء أنظمة زراعية مستدامة، كما أن الفساد على مختلف المستويات لا يزال يعوق جهود المنظمات الدولية والحكومة العراقية على حد سواء، ما يحد من فعالية هذه المخططات. علاوة على ذلك، فإن النيوليبرالية التي خضع لها الاقتصاد العراقي بعد عام 2003، وحقيقة استيلاء النخبة السياسية في البلاد والميليشيات التابعة لها على القطاع الزراعي، تركت المزارعين العراقيين من دون سوقٍ لمنتجاتهم.

استجابةً لذلك، اعتمد المزارعون العراقيون استراتيجيات تكيّف محلية عفوية وغير منظمة، لمحاولة التغلب على الظروف المناخية القاسية والفساد السياسي والنيوليبرالية. فعلى سبيل المثال، للتعامل مع ندرة المياه، بدأ المزارعون بحفر الآبار واستخدام المياه الجوفية لأغراض الري. على الرغم من أن حفر الآبار ينطوي على مخاطر استنزاف احتياطيات المياه الجوفية، لكنه يمثل في الوقت نفسه وسيلةً للمزارعين للتحايل على توزيع المياه المركزي الذي يُسيَّس بانتظام. وفي مواجهة الظواهر الجوية المتطرفة، بدأ المزارعون بزراعة أنواع جديدة من المحاصيل المقاومة للجفاف، وأكثر من نوع من المنتجات. هكذا، في حال فشل محصول معين خلال موسم ما، لا يزالون قادرين على حصاد وبيع محاصيل أخرى. ومع ذلك، يختارون غالباً المحاصيل التي يعتقدون أنها ستكون أكثر قدرةً على منافسة الواردات الرخيصة الآتية من الدول المجاورة.

تشير استراتيجيات تكيّف المزارعين العراقيين إلى الحاجة للابتعاد عن الحلول التقنية البحتة ومساءلة الهياكل القائمة في سبيل تحقيق تكيّف تحويلي؛ أي تحول شامل للنظام يعالج الأسباب الجذرية لضعف القدرة على التكيّف مع تغيّر المناخ، مع مراعاة العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتوزيع الأكثر إنصافاً للسلطة السياسية والثقافية والمؤسسية في المجتمع.[1]

بناءً على نتائج هذه الدراسة، يوصى باتخاذ الإجراءات الآتية:

إلى حكومة العراق:

- التعاون مع منظمات المزارعين والمجتمع المدني لتعديل المادة 11 من القانون رقم 15 لعام 2013 الخاص بتسجيل الأصناف الزراعية واعتمادها وحمايتها بما يحمي حقوق المزارعين في تبادل البذور وحفظها.
- تضمين النُّهج الإنتاجية، مثل الزراعة المستدامة والزراعة الحرجية، ضمن الخطة السنوية لوزارة الزراعة، ووضع أهداف لها، وتشجيع اعتمادها.
- تعزيز الأسواق المحلية للمزارعين العراقيين، ومن ضمنها إعادة فتح وتشغيل المصانع الوطنية التي أُغلقت بعد غزو عام 2003.

1 UN Framework Convention for Climate Change (UNFCCC), "Defining and Understanding Transformational Adaptation at different Spatial Scales and Sectors, and Assessing Progress in Planning and Implementing Transformational Adaptation Approaches at the Global Level", 5 November 2024, FCCC/TP/20248/, https://unfccc.int/sites/default/files/resource/tp2024_08.pdf

إلى المنظمات الدولية:

- الاستثمار في البحث عن استراتيجيات تكيّف جديدة، بما فيها التكيّف التحويلي، واستخدام عمليات الرصد والتقييم طويلة المدى لضمان فعالية هذه الاستراتيجيات قبل تطبيقها على نطاقٍ واسع.[2]
- الاستفادة من الخبرات لدعم الحكومة العراقية في تعديل القانون رقم 15 لعام 2013 الخاص بتسجيل الأصناف الزراعية واعتمادها وحمايتها، ومواءمته مع المعايير الدولية، ومن ضمنها المعاهدة الدولية للموارد الوراثية النباتية للأغذية والزراعة.[3]
- العمل كطرف ثالث محايد لدعم تحديد مسار قابل للتطبيق نحو التنفيذ الصارم لحظر استيراد المنتجات الموسمية إلى العراق الاتحادي وإقليم كردستان. وينبغي تطوير هذه الاستراتيجية بالتعاون مع جميع الأطراف المعنية بالتحكم في حدود البلاد ومسارات التجارة، ومن ضمنها الجماعات المسلحة المتحالفة مع إيران، والتجار وكبار المسؤولين الأمنيين، والموظفين المدنيين.[4]

إلى منظمات المجتمع المدني والباحثين:

- إثارة نقاشات نقدية حول الأنظمة والقيم والقواعد والممارسات السائدة، لا سيما في ما يتعلق بأنظمة السوق وعلاقة المجتمع العراقي بالطبيعة، بهدف فتح مسارات لأنواع مختلفة من استراتيجيات التكيّف والتنمية.
- دعم إنشاء وتعزيز تعاونيات المزارعين التي قد تساعد الأكثر تهميشًا منهم على تقاسم التكلفة المالية لشراء أنظمة زراعية مستدامة وكذلك عبء مخاطر الظواهر الجوية المتطرفة.
- إنشاء تحالف بين المجتمع المدني ومنظمات المزارعين والأكاديميين في مجال الزراعة والموظفين المدنيين الإصلاحيين في الوزارات المعنية للدعوة إلى تعديل القانون رقم 15 لعام 2013 واعتماده وتنفيذه بصيغته المعدلة.

2 Giacomo Fedele et al., "Transformative Adaptation to Climate Change for Sustainable Social-Ecological Systems", Environmental Science and Policy 101 (2019) pp. 116–125, https://doi.org/10.1016/j.envsci.2019.07.001

3 UN Food and Agricultural Organization (FAO), "International Treaty on Plant Genetic Resources for Food and Agriculture", n.d., https://www.fao.org/plant-treaty/en/

4 Hayder Al-Shakeri and Renad Mansour, "How Supply Chains Fuel Transnational Conflict in the Middle East", Chatham House, 22 January 2025, https://www.chathamhouse.org/202411//how-supply-chains-fuel-transnational-conflict-middle-east [Al-Shakeri and Mansour, "How Supply Chains Fuel"]

مقدمة

يُعدّ العراق من أكثر البلدان عرضة لتغيّر المناخ على مستوى العالم.[5] وفقًا لوكالة الطاقة الدولية، بين عامي 2000 و2023، ارتفع متوسط درجات الحرارة في العراق بمقدار 0.48 درجة مئوية لكل عشر سنوات، وهو أعلى بكثير من متوسط الاحترار العالمي البالغ 0.37 درجة مئوية.[6] ويُتوقع أن تستمر درجات الحرارة في الارتفاع، وقد تصل إلى زيادة ، قدرها 5.6 درجات مئوية مقارنةً بمستويات ما قبل الثورة الصناعية في سيناريو الانبعاثات المرتفعة.[7] وشهدت البلاد زيادة في الظواهر الجوية المتطرفة، مثل الجفاف الذي تليه فترات من الأمطار الغزيرة والعواصف الرملية.[8] كما أدى الجفاف وملوحة التربة وتدهور الأراضي إلى نزوح المجتمعات الزراعية الريفية، ما أسفر عن زيادة الهجرة إلى المدن. وتقدر المنظمة الدولية للهجرة أنه حتى آذار/مارس 2024، لا يزال أكثر من 140,000 شخص نازحين في جميع أنحاء العراق بسبب عوامل متعلقة بالمناخ.[9] وتأثرت المجتمعات الزراعية في شمال ووسط العراق خصوصاً التي تعرضت لنزوح جماعي بسبب صعود تنظيم داعش، وتأخرت في العودة إلى الزراعة نتيجة القيود المالية وصعوبات الوصول إلى الأراضي والمخاوف الأمنية.[10] وفاقم سوء تخطيط الحكومة العراقية للسياسات هذه المشكلات، لا سيما في ما يتعلق بإدارة المياه، ما أدى إلى ضعف مرافق معالجة المياه فتكون في كثيرٍ من الأحيان شديدة التلوث، خصوصاً في المناطق الجنوبية من العراق.[11] علاوة على ذلك، لا يزال البلد يعاني من تحديات تقاسم المياه عبر الحدود، لأنه يحتاج إلى آليات تعاون ملزمة، مثل المؤسسات أو الاتفاقيات التي قد تمكنه من التفاوض على حصص المياه التي يحصل عليها من الدول المجاورة، مثل تركيا وإيران، وهي تضم روافد نهري دجلة والفرات اللذين يعتمد عليهما 90 في المئة من إمدادات المياه العذبة في العراق.[12]

وسط هذه الصورة القاتمة والمتصاعدة، ركزت معظم الدراسات الأكاديمية الحديثة حول تغيّر المناخ في العراق على الأسباب ونتائجه الكلية. تتجه هذه الدراسة بدلاً من ذلك نحو استراتيجيات المزارعين العراقيين المحلية للتكيّف المناخي، وتستكشف كيفية استمرارهم ونجاتهم في ظل ظروف غير مستقرة وبيئة تزداد قسوة، وكيفية تأثير الدولة والمنظمات الدولية على تشكيل وتقييد أفعالهم. هذا التركيز مستوحى من العمل الأخير للأنثروبولوجيّة منيرة خياط التي تلاحظ: «بالنسبة إلى عددٍ كبيرٍ من الذين نتشارك هذا الكوكب معهم، ومن هم أقل حظاً منا، فإن نهاية العالم ليست جديدة».[13] بعض الناس، عادةً من يملكون أقل قدر من الوصول إلى القوة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، اضطروا إلى العيش وسط الظروف غير المستقرة والتغيّرات المناخية والاضطرابات طيلة حياتهم وإيجاد طرق للبقاء على قيد الحياة في هذه البيئات.[14] تؤطر الحجج المقدمة في هذه الدراسة جزئياً بمفهوم خياط لـ«البيئات المقاومة» التي تُعرّف بأنها «مجموعات بقاء متعددة الأنواع تنشأ حول الممارسات الزراعية التي تحافظ على الحياة» خلال الصراع.[15] بينما تكتب خياط عن بقاء الأنواع المتعددة في سياق الحرب في جنوب لبنان – وهو أمر ذو صلة بالعراق الذي شهد عقودًا من الصراع المسلح النشط – وتُوضح عالمة الأنثروبولوجيا آنا لوينهاوبت تسينغ أن هذا الإطار قابل للتطبيق أيضًا على ما يحدث في أعقاب الدمار، سواء في سياق الاحتباس الحراري أو الكوارث الصناعية، فتقول: «نحن عالقون مع مشكلة العيش على الرغم من الخراب الاقتصادي والبيئي».[16] الحلول التي يجدها الناس في مثل هذه السياقات لا يمكنها حماية المجتمعات من آثار تغيّر المناخ على المدى الطويل، لكنها تعكس الطرق الفوضوية والمعقدة التي يتبعها الناس للبقاء

5 Sarah Sanbar, "Iraq's Climate Crisis Is a Human Rights Crisis", Human Rights Watch, 2025, https://www.hrw.org/news/202527/03//iraqs-climate-crisis-human-rights-crisis

6 International Energy Agency (IEA), "National Climate Resilience Assessment for Iraq", January 2025, https://www.iea.org/reports/national-climate-resilience-assessment-for-iraq [IEA, "National Climate Resilience"]

7 IEA, "National Climate Resilience".

8 IEA, "National Climate Resilience"; Noor Taher, "Iraq: A Rapidly Changing Climate, and Imperative for Coordinated Action", Norwegian Refugee Council, 5 May 2023, https://www.nrc.no/perspectives/2023/iraq-a-rapidly-changing-climate-and-imperative-for-coordinated-action

9 International Organization for Migration (IOM) Displacement Tracking Matrix (DTM), "Climate-Induced Displacement – Central and Southern Iraq", 115- March 2024, https://dtm.iom.int/es/node/39131

10 Ahmad Sadiddin et al., "Are Iraqi Displaced Farmers Returning to agriculture?", Food and Agriculture Organization (FAO) and IOM, 14 February 2023, https://dtm.iom.int/fr/node/21776?close=true

11 Mohammed Mahmoud, "The Looming Climate and Water Crisis in the Middle East and North Africa", Carnegie Endowment for International Peace, 19 April 2024, https://tinyurl.com/4b52ezd5

12 Tobias von Lossow et al., "Action Needed: Three Priorities for Iraq's Water Sector", Water, Peace and Security (WPS) and The Clingendael Institute, June 2022, p. 4, https://waterpeacesecurity.org/files/229 Munira Khayyat, "Resistant Ecologies: The Life of W

13 Munira Khayyat, "Resistant Ecologies: The Life of War in South Lebanon", American Ethnologist 50, no. 2 (2022) p. 186, https://doi.org/10.1111/amet.13110 [Khayyat, "Resistant Ecologies"]; see also Munira Khayyat, A Landscape of War: Ecologies of Resistance and Survival in South Lebanon, University of California Press, 2022.

14 Kali Rubaii, "What Displacement Teaches Us about Surviving Changed Climates", The Project on Middle East Political Science, n.d., https://pomeps.org/what-displacement-teaches-us-about-surviving-changed-climates and Juliette Duclos-Valois, "Under the Baghdad Sun", Anthropology News 65, no. 1 (2024), https://www.anthropology-news.org/articles/under-the-baghdad-sun/

15 Khayyat, "Resistant Ecologies", p. 185.

16 Anna Lowenhaupt Tsing, The Mushroom at the End of the World: On the Possibility of Life in Capitalist Ruins, Princeton University Press, 2015, p. 19.

على قيد الحياة في سياقات متزايدة القسوة.[17] وتوثيق مثل هذه الخبرات المبنية على التجربة المتعلقة بالبيئة ضروري بسبب الاختلافات بينها وبين المفاهيم السياسية، كما تشير الأدبيات حول استراتيجيات بقاء الأنواع المتعددة. وترى أندريا جوسلين نايتنجيل وزملاؤها أن السياسات المتعلقة بالتكيّف وتخفيف آثار تغيّر المناخ تفصل غالباً الطبيعة عن المجتمع وعن التغيّرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأوسع نطاقًا.[18]

تماشياً مع هذه الأدبيات، توصلت هذه الدراسة إلى أن تدخلات الحكومة العراقية للتكيّف مع تغيّر المناخ كانت تقنية بحتة، وركزت غالباً على توفير تقنيات مستدامة للمزارعين. وتأثرت هذه التدخلات بالمنظمات الدولية المانحة التي توجه وتموّل هذا العمل على المستوى السياسي، فضلاً عن تقديمها حلولاً تقنية مماثلة. من جانبها، سعت الحكومة العراقية إلى تحفيز المزارعين على تبنّي تقنيات زراعية مستدامة، لا سيما عبر أنظمة الري بالتنقيط والطاقة الشمسية. ودعمت المنظمات الدولية هذه الاستراتيجية بشكلٍ أساسي من خلال توزيع أنظمة الري الحديثة وغيرها من المعدات الزراعية، وتوفير التدريب لعدد محدودٍ من المزارعين. ومع ذلك، بالنسبة إلى المزارعين الذين يركز عليهم هذا التقرير، فإن الظروف الجوية القاسية ليست سوى جزء واحد من التفاوتات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأوسع نطاقاً التي كان عليهم التعامل معها لممارسة الزراعة.[19] وأعاقت اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية والهياكل السياسية جهود الحكومة والجهات المانحة، ما لا تستطيع المقاربات التقنية وحدها معالجتها. ويُلفت ماركوس تايلور إلى أن المطلوب، هو نهج قائم على القاعدة الشعبية للسياسات المناخية يستند إلى الواقع المعاش، بدلاً من الأفكار حول المناخ التي لا تزال متداولة على مستوى الحكومات والمنظمات الدولية.[20] ولتحقيق ذلك، ينبغي تجاوز الحلول التكنوقراطية والتوجه نحو توازن أكثر إنصافاً للسلطة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع.

توصلت هذه الدراسة أيضًا إلى أن المزارعين في العراق، في مواجهة تزايد الهشاشة، أجروا تغييرات سلوكية عفوية وغير منظمة للبقاء على قيد الحياة وسط الظروف المناخية سريعة التغيّر. ومع ذلك، كما تُظهر المقابلات مع المزارعين، لم تهدف هذه الاستراتيجيات فقط إلى إدارة الظواهر الجوية المتطرفة، بل أيضاً إلى معالجة القضايا المتجذرة في الفساد السياسي والنيوليبرالية التي زادت من تعرضهم للصدمات المناخية. وبالتالي، تحتاج هذه الاستراتيجيات إلى تجاوز الحلول التكنوقراطية والتوجه نحو فهم تحويلي للتكيّف، يركز على تجاربهم الحياتية ومعرفتهم وأولوياتهم ويعززها.

17 Khayyat, "Resistant Ecologies", p. 190.

18 Andrea Joslyn Nightingale et al., "Beyond Technical Fixes: Climate Solutions and the Great Derangement", Climate and Development 12, no, 4 (2019) pp. 343–352, https://doi.org/10.108017565529.2019.1624/495

19 Marcus Taylor, "Rethinking Climate Change Adaptation", in Climate, Science and Society: A Primer, Zeke Baker, Tamar Law, Mark Vardy and Stephen Zehr (eds.), Routledge, 2023, pp. 207–213. [Taylor, "Rethinking Climate Change"]

20 Taylor, "Rethinking Climate Change".

المنهجية

تستند نتائج هذه الدراسة بشكلٍ أساسي إلى 34 مقابلة أجريت بين شهري نيسان/أبريل وأيار/مايو 2025 مع مزارعين ونشطاء ومنظمات المجتمع المدني ومسؤولين حكوميين ومنظمات دولية، في جميع أنحاء كردستان (أربيل وعقرة وچومان) وشمال العراق (الحمدانية والموصل) والوسط (بغداد، الفلوجة)، والجنوب (الزبير، المُدينة، الهارثة، مدينة البصرة، الجبايش).[21] اختيرت هذه المواقع لضمان أن تكون الدراسة ممثلة قدر الإمكان، خصوصاً بالنظر إلى الآثار المتنوعة لتغيّر المناخ والتلوث والنزوح المرتبط بالصراع في مختلف أنحاء البلاد.[22] واختير المشاركون في هذه الدراسة وفق المعايير الآتية: المسؤولون الحكوميون العاملون في القضايا الزراعية على المستوى الإقليمي والوزاري والتنفيذي؛ منظمات المجتمع المدني الزراعية أو الجمعيات التي تدير برامج زراعية؛ وصغار وكبار المزارعين التجاريين سواء كانوا مرتبطين بعقود حكومية أو لا، ومن يزرعون أنواعًا مختلفة من المحاصيل في مختلف المناطق. جُمعت البيانات لهذه الدراسة في سياق 30 مقابلة أخرى أجريت مع نشطاء ومنظمات المجتمع المدني وأكاديميين وصحافيين كجزء من تقرير نُشر سابقًا بعنوان «التغلب على تحديات حماية البيئة في عراق يتزايد فيه الاستبداد»، إلى جانب مراجعة أدبيات تقارير السياسات والمقالات الإعلامية والأبحاث الأكاديمية حول التكيّف مع تغيّر المناخ في البلاد.[23] لضمان سلامة المشاركين، أُخفيت أسماء جميع المتحدثين في هذه الدراسة.

اختير المشاركون استناداً إلى عينة هادفة وعينة الحراسة لتسهيل الوصول إلى المجموعة المستهدفة. وأجريت المقابلات بشكلٍ فردي مع منظمات وأفراد يعملون في قضايا مثل التكيّف مع تغيّر المناخ والزراعة في العراق، وهم معروفون بالفعل بالنسبة إلى المؤلف. واستُخدم أسلوب العينة المتسلسلة بعد الاتصال الأولي، لتنويع المشاركين والحد من أي تحيز ضمن شبكة المؤلف. لإجراء مقابلات مع المزارعين في المناطق الريفية والنائية سهّل السكان المحليون ومنظمات من تلك المناطق تواصل المؤلف مع المزارعين. في هذه الحالات، أُجريت المقابلات مع المزارعين في مجموعات، ما سمح بجمع البيانات بشكلٍ أكثر كفاءة. في ما يتعلق بتوزيع المقابلات، أجريت 10 منها في شمال العراق وإقليم كردستان، و19 في جنوب العراق، و5 في وسط العراق.

21 شكر خاص لياسين موسى جوندي في المدينة، شمال البصرة، لمساعدته في ترتيب مقابلات مع المزارعين في المنطقة.

22 IEA, "National Climate Resilience".

23 Taif Alkhudary, "Navigating the Challenges of Environmentalism in an Increasingly Authoritarian Iraq", Arab Reform Initiative, 6 February 2025, https://tinyurl.com/mptveasv

ودُوّنت ملاحظات بخط اليد أثناء جميع المقابلات، وبموافقة المشاركين، سُجّلت أيضًا بعض المقابلات صوتيًا. طُرحت على المشاركين مجموعة أسئلة متشابهة، مع تكييفها بناءً على مهنتهم – مثلاً، موظف حكومي، مزارع، أو مانح دولي – والإجابات التي قدموها. بشكلٍ عام، تضمنت الأسئلة المطروحة كيفية تأثير تغيّر المناخ على الممارسات الزراعية للمزارعين، وكيف تعاملوا مع هذه التحديات، وما إذا كانوا يتلقون دعماً من الحكومة أو المنظمات الدولية، ومدى فائدة هذا الدعم وأسبابه. بعد ذلك، تم نسخ المقابلات وتحليلها للبحث عن الموضوعات المشتركة.

التكيّف التكنوقراطي في القطاع الزراعي

في السنوات الأخيرة، صاغت حكومة العراق مجموعةً من الوثائق التي تحدد استراتيجياتها في مجال التكيّف مع تغيّر المناخ ومواجهته، لا سيما في القطاعات المعرضة لمخاطر عالية مثل المياه والزراعة. ومن بين أهم هذه الوثائق خطة المساهمة المحددة وطنياً الأولى، التي طُوّرت بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وقُدمت في عام 2022.[24] توضح مساهمات العراق المحددة وطنياً مجموعة متنوعة من التدخلات التقنية لمعالجة كيفية تكيّف القطاعات الرئيسية مع تغيّر المناخ. في ما يتعلق بالزراعة، تضع الحكومة هدفًا لتطوير محاصيل مقاومة للمناخ وتشجع استخدام تقنيات الزراعة الحديثة، بما فيها استخدام البيوت البلاستيكية، بهدف تحسين الأمن الغذائي والتوجه نحو التنويع الاقتصادي. أما في ما يتعلق بالمياه، فتتركز جهود الحكومة على توسيع البنية التحتية للمياه من خلال بناء السدود ومشاريع تحلية المياه وتقنيات الري الحديثة، وضمان الاستخدام المستدام للمياه الجوفية.

من بين القضايا الرئيسية التي تواجه العراق أن ما بين 75-80 في المئة من إجمالي المياه المستخدمة تذهب إلى الزراعة، ومع ذلك فإن القطاع الزراعي يمثل فقط 2 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي.[25] ويواصل المزارعون استخدام تقنيات ري قديمة تستهلك كميات كبيرة من المياه، مثل الري بالغمر باستخدام القنوات المفتوحة. للحد من استخدام المياه في الزراعة، فرضت وزارة الموارد المائية حصصًا صارمة من المياه على المزارعين، وأدخلت عدة برامج لتشجيع استخدام تقنيات الري الحديثة لضمان كفاءة أكبر.[26] بالإضافة إلى ذلك، تدعم الحكومة شراء تقنيات الري الحديثة بنسبة 30 في المئة للمزارعين الراغبين في الاستثمار فيها، وتشتري منهم القمح بأسعارٍ أعلى قليلاً مقارنةً بالمزارعين الذين يستخدمون الطرق التقليدية.[27] في السنوات الأخيرة، اختبرت الحكومة أيضًا نوعاً جديداً من الأرز الهجين يمكن ريّه باستخدام نظام الرش، بدلاً من الري بالغمر. بعد حظر زراعة الأرز لمدة عامين بسبب ندرة المياه، تخطط الحكومة لنشر هذه الأنواع الهجينة في جميع أنحاء البلاد كوسيلة لتعزيز الأمن الغذائي.[28]

كما تمنح الحكومة قروضاً للمزارعين بمعدلات فائدة منخفضة لأغراض زراعية، بما فيها شراء البيوت البلاستيكية وأنظمة الري بالتنقيط، والمعدات الزراعية الأخرى، وتحسين أو إعادة تشجير البساتين وغابات النخيل.[29] ومع ذلك، لا تتوفر بيانات عامة حول عدد المزارعين المشاركين في هذه الخطة الزراعية أو عدد من يستفيدون من هذه الخدمات. علاوة على ذلك، منذ عام 2022، نفذت وزارة الكهرباء مشاريع عدة بالتعاون مع البنك المركزي، لتقديم قروض لشراء الألواح الشمسية المستخدمة لتشغيل آلات الري.[30] ووفقًا للمشاركين في المقابلات، توفر وزارة الزراعة أيضًا بعض الخدمات الإضافية المحدودة جدًا للمزارعين على مستوى المحافظات، ومن ضمنها الخدمات الاستشارية، وتوفير كميات صغيرة من المبيدات الحشرية، وتوزيع حبوب القمح سنويًا على المزارعين المشاركين في الخطة الزراعية بأسعارٍ مدعومة بنسبة 70 في المئة.[31]

وبالمثل، ركز عمل المنظمات الدولية العاملة في البلاد، مثل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومنظمة الأغذية والزراعة

24 UNDP and the Iraq Government Ministry of Environment, "National Determined Contributions of Iraq (NDC)", 2021, https://faolex.fao.org/docs/pdf/irq205646.pdf. In 2025, Iraq also launched its Green Climate Fund (GCF) country program, designed to support the implementation of its NDCs, see GCF, "Country Programme: Republic of Iraq", April 2025, https://tinyurl.com/55zw8er7; The Kurdistan Region of Iraq also has its own local adaptation plan, which largely reiterates the targets of Iraq's countrywide NDC plan, see UNPD and the Government of the Kurdistan Region of Iraq, "Local Climate Adaptation Plan for Kurdistan Region – Iraq", May 2024, https://www.undp.org/sites/g/files/zskgke326/files/202408-/kurdistan_lap_-final_-_english.pdf

25 Fanack Water, "Water Use in the Middle East", 6 December 2022, https://water.fanack.com/iraq/water-use-in-iraq/

26 صفاء خلف وجوليا شوكير فيزوسو، «التعبئة من أجل البيئة في العراق»، مبادرة الإصلاح العربي، 25 تشرين الأول/أكتوبر 2024.

27 مقابلة مع مستشار رئيس الوزراء لشؤون الزراعة في بغداد، 7 أيار/مايو 2025؛ آمنة السلامي، «الزراعة: تقنيات الري الحديثة لتغطية مساحة تزيد عن 1.4 مليون دونم»، وكالة الأنباء العراقية، 13 كانون الأول/ديسمبر 2024، https://www.ina.iq/223578--400-.html

28 Reuters, "Iraq Resumes Rice Cultivation after Two-Year Ban with New Climate Friendly Strain", Arab News, 22 July 2024, https://www.arabnews.com/node/2554101/middle-east

29 مقابلات مع مزارعين في الهارثة والمُدينة في شمال البصرة، في 3 و6 أيار/مايو 2025 على التوالي؛ مقابلة مع مستشار رئيس الوزراء لشؤون الزراعة في بغداد، في 7 أيار/مايو 2025؛ NRT، «بفوائد منخفضة... وزارة الزراعة تعلن عن قروض جديدة للمزارعين»، 6 أيلول/سبتمبر 2024، https://www.nrttv.com/ar/32811/detail3

30 Israa Al-Samaria, "Loans for Farmers to Buy Solar Energy Systems" [Arabic], Al-Sabah, 6 May 2025, https://alsabaah.iq/114011-.html; Al-Arabiya Magazine "Monthly Installments of 51,000 dinars to Facilitate the Installment of Solar Power Plants in Homes" [Arabic], 20 May 2025, https://tinyurl.com/5bexnp8r

31 مقابلة مع مزارعين في المُدينة، شمال البصرة، 6 أيار/مايو 2025؛ مقابلة مع موظف مدني في مديرية الزراعة في الفلوجة، 10 أيار/مايو 2025؛ محمد ناصر، «وزارة الزراعة تخصص 1,000 طن من حبوب القمح لمزارعي البصرة»، وكالة أنباء العراق، 31 تشرين الأول/أكتوبر 2024، https://www.ina.iq/220378--1000-.html

والمنظمة الدولية للهجرة والمجلس النرويجي للاجئين، بشكل أساسي على تزويد عددٍ محدودٍ من المزارعين بالأدوات اللازمة لضمان استخدام المياه بشكل أكثر كفاءة وممارسات زراعية مستدامة. وتتمثل التدخلات الأكثر شيوعًا في توزيع أنظمة الري بالتنقيط وتزويد المزارع بألواح شمسية لتشغيل مضخات المياه. ووفقًا لموظفي هذه المنظمات، يخدم هذا النوع من البرامج غرضًا مزدوجًا: تقليل تكاليف المزارعين من خلال توفير الديزل؛ وفي المناطق المحررة من تنظيم داعش، تشجيع المزارعين النازحين بسبب النزاع على العودة إلى ديارهم من خلال توفير مصدر دخل لهم.[32]

كما زودت المنظمات الدولية المزارعين بمعدات إضافية، مثل البيوت البلاستيكية، شباك الصيد لمنع الصيد الكهربائي، الجرارات الصغيرة، المبيدات الحشرية وخزانات المياه البلاستيكية للري عند محدودية هطول الأمطار، وفي مناطق الأهوار خصوصاً، وزعت ثلاجات لضمان عدم تلف الجبن وغيره من منتجات مربي الجاموس بسبب ارتفاع درجات الحرارة.[33] وتُترك هذه المعدات غالباً لدى مديرية الزراعة أو في المراكز المحلية المنشأة حديثاً، كوسيلة لضمان قدرة أكبر عدد ممكن من المزارعين على استعارتها لفتراتٍ قصيرة.[34]

تلعب المنظمات الدولية أيضًا دورًا كبيرًا في توفير التدريبات وبناء القدرات، خصوصاً بين الشباب، بما فيها استخدام تقنيات الري الحديثة، ممارسات الزراعة المستدامة، استخدام التسميد العضوي وبيعه، وكيفية استخدام أنظمة الطاقة الشمسية وصيانتها.[35] إلى حد ما، تقوم هذه المنظمات أيضًا ببعض الأعمال المحدودة للمساعدة في إعادة تأهيل البنية التحتية للمياه، مثلاً عبر تبطين وتوسيع قنوات المياه وإعادة بناء محطات معالجة المياه في المناطق المحررة من تنظيم داعش.[36]

المجال الرئيسي الأخير لتدخل المنظمات الدولية العاملة في مجال التكيّف مع تغيّر المناخ في العراق هو مبادرات التشجير، لا سيما في إقليم كردستان، حيث لعبت دوراً أساسياً في دعم حملات إنشاء أحزمة خضراء واسعة في الإقليم، ومن ضمنها خطط لزراعة 20 ألف شجرة زيتون ومليون شجرة بلوط.[37]

ومع ذلك، لم يكتمل عدد كبير من هذه المشاريع أو توقف تماماً بسبب خفض المساعدات التنموية، لا سيما من قبل الولايات المتحدة بعد إغلاق الوكالة الأميركية للتنمية الدولية

32 مقابلة مع موظف في منظمة دولية في بغداد، 10 أيار/مايو 2025.

33 مقابلات مع مزارعين في الشبيش، 5 أيار/مايو 2025.

34 مقابلة مع موظف في منظمة دولية في أربيل، 1 أيار/مايو 2025؛ مقابلة مع ناشط بيئي من البصرة عبر WhatsApp، 2 أيار/مايو 2025. مقابلات مع مزارعين في الهارثة، شمال البصرة، 3 أيار/مايو 2025.

35 مقابلة مع ناشط في المجتمع المدني من الفلوجة عبر واتساب، 15أيلول/سبتمبر 2024.

36 مقابلة مع جمعية زراعية في بغداد، 10 أيار/مايو 2025.

37 مقابلة مع منظمة مجتمع مدني في أربيل، 1 أيار/مايو 2025؛ مقابلة مع منظمة مجتمع مدني من كردستان عبر واتساب، 4أيار/مايو 2025.

في كانون الثاني/يناير 2025.[38] وهذا يعني أن مثل هذه المشاريع ستتقلص أكثر في السنوات المقبلة، ومن الصعب تكرارها نظراً للتكاليف الباهظة التي تتطلبها، خصوصاً تلك التي تسعى إلى تطبيق أساليب الري الحديثة وتركيب الألواح الشمسية.

محدودية النهج التكنوقراطي

لا تأخذ النُّهج التكنوقراطية للتكيّف مع المناخ في الاعتبار الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية. مثلاً، يواجه المزارعون الذين يحصلون على قروض لشراء أنظمة ري حديثة صعوبات في سداد الأقساط الشهرية.[39] وتتفاقم هشاشة المزارعين بسبب المنافسة من السلع المستوردة وزيادة الظواهر الجوية المتطرفة، ما يزيد احتمال فشل المحاصيل. ونتيجة لذلك، يُرجّح أن يبيع المزارعون أجزاء من أنظمة الري هذه إذا فشلت محاصيلهم أو مروا بفترة انخفاض الإنتاجية. علاوة على ذلك، فإن أنظمة الري والطاقة الشمسية مكلفة وتتطلب ميزانية مخصصة لصيانتها وإصلاحها. ويُفاقم افتقار الحكومة العراقية إلى ضمان الجودة واللوائح التنظيمية هذه التكاليف، ما يعني أن بعض المعدات التي يشتريها المزارعون منخفضة الجودة وتحتاج إلى استبدالٍ مستمر.[40]

في بعض المناطق، لا يستطيع المزارعون تحمل تكلفة أنظمة الألواح الشمسية الكبيرة اللازمة لتوليد الكهرباء الكافية للري.[41] كما شرح أحد قادة المجتمع المحلي في الحمدانية، شمال العراق:

> «هناك بعض الأشخاص [في القرى] الذين يستخدمون الألواح الشمسية الآن، لكن هذا الأمر محدود للغاية، ويولّد الكثير من المشاكل. فركبوا ألواحاً شمسية يُفترض أن تشغّل مضخة المياه، لكنها لم تعمل. فهي تحتاج إلى 50 أمبيراً، بينما لا توفر الألواح الشمسية سوى 15 أمبيراً. وكلفتهم لتوليد هذه الكمية الصغيرة فقط 4000 دولار أميركي لبدء التشغيل. إنها مكلفة للغاية».[42]

وأوضح أن تكلفة تركيب نظام الري بالتنقيط في مزرعة متوسطة الحجم تبلغ نحو 45,000 دولار أميركي. في حين يصعب العثور على أرقام دقيقة لمتوسط رواتب المزارعين في جميع أنحاء البلاد، أجرى المجلس النرويجي للاجئين دراسةً استقصائيةً في البصرة عام 2022، أظهرت أن متوسط دخل

38 مقابلات مع موظف في منظمة دولية في أربيل، 1 أيار/مايو 2025، وبغداد، 8 أيار/مايو 2025. مقابلة مع منظمة مجتمع مدني في أربيل، 1 أيار/مايو 2025.

39 Hussein Mishbak, "Assessing the Impact of Agricultural Policy on Food Security in Iraq: The Case of Dhi Qar", Institute of Regional and International Studies, 12 February 2025, https://tinyurl.com/ybw8su4x

40 مقابلة مع موظف في منظمة دولية في بغداد، 8 أيار/مايو 2025.

41 مقابلة مع نائب رئيس منظمة المجتمع المدني في أربيل، 1 أيار/مايو 2025.

42 مقابلة مع رئيس مجتمع محلي في الحمدانية، 30 نيسان/أبريل 2025.

المزارعين يبلغ 280 ألف دينار عراقي (191 دولارًا أميركيًا) شهريًا، وهو رقم أقل بكثير مما يلزم لتركيب واستخدام تقنيات الزراعة المستدامة.[43] كما اشتكى المزارعون المستأجرون المشاركون في المقابلات في البصرة من عدم متابعة القروض التي تمنحها الحكومة في أحيانٍ كثيرة، ما يعني إمكانية حصول مالكي الأراضي على هذه القروض واستخدامها لأغراضٍ أخرى، مثل بناء منازل أو بدء مشاريع تجارية أخرى، بدلاً من تحسين الأراضي الزراعية أو تجهيزها بمعدات أو آلات حديثة.

كما أوضحنا في القسم السابق، حاولت المنظمات الدولية معالجة التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية إلى حد ما من خلال توفير بعض المعدات للمزارعين مجانًا، وتنظيم ورش عمل حول صيانتها. ومع ذلك، تبقى هذه المبادرات محدودة النطاق وقصيرة المدى وتفتقر إلى الشرعية بين المستفيدين. في إحدى الحالات التي رُصدت أثناء إجراء زيارة ميدانية في الناصرية، تضمنت مبادرة صغيرة الحجم توزيع نحو اثني عشر خزان مياه الذي لا يكلف كل منها في السوق العراقية سوى نحو 20 ألف دينار عراقي (15 دولارًا أميركيًا).[44] وفقًا للمتحدثين، كان الهدف من هذه المشاريع إظهار أن المنظمات تعمل في هذا المجال، من دون تقديم أي فوائد جوهرية في الواقع.[45] وأشار أحد المتحدثين الذي عمل سابقًا في منظمة دولية، إلى أن معدات الري بالتنقيط الموزعة كانت غير كافية أيضًا: «وزعوا خراطيم بطول ستة أمتار وقطرها بوصة واحدة، مع 6-10 فروع إضافية ومن دون مضخات مياه. كيف يُفترض أن يستخدم الناس هذه الخراطيم للري؟»[46] في رأيه، على الرغم من تخصيص المنظمات الدولية مبالغ كبيرة لمشاريع التكيّف مع تغيّر المناخ، إلا أن الغالبية العظمى من هذه الأموال انتهت بالإنفاق على إقامة موظفي المنظمات غير الحكومية ورحلاتهم الجوية بدلاً من مساعدة المستفيدين، ما حدّ من فعالية المساعدات.

وتعد قدرة المزارعين على التكيّف مع تغيّر المناخ محدودة بسبب فشل التدخلات التقنية في معالجة الفساد المنتشر والمقبول سياسياً في العراق. فعند الإعلان عن الجولة الأولى من القروض لشراء الألواح الشمسية عام 2022، لم تتمكن سوى بعض الشركات المرتبطة بالأحزاب السياسية من شراء هذه المعدات، ما يعني أن معظمها كانت منخفضة الجودة.[47] في الواقع، صرّح رئيس لجنة الكهرباء البرلمانية أن «أفراداً داخل وزارة الكهرباء حاولوا عمداً تأخير طرح الألواح الشمسية لأنهم أرادوا أن تذهب العقود إلى الشركات التي تربطهم بها صلات. وبسبب هذا النوع من الفساد – إلى جانب العقبات التي شكلتها تعقيدات عملية تقديم الطلبات – لم يُنفق سوى 250 مليون دولار من بين تريليون دولار خصصها البنك المركزي لهذا المشروع بحلول العام 2025.

كما شكك العديد من المزارعين الذين قابلناهم في أن الإعانات والخدمات الحكومية الأخرى تُمنح بشكلٍ غير متناسب للمزارعين ذوي الصلات السياسية. ووفقًا لهم، يتمكن هؤلاء المزارعون من استغلال هذه الامتيازات لزراعة مساحات شاسعة من الأراضي، وتزداد مشتريات الحكومة العراقية من منتجاتهم على حساب الحصص المخصصة للمزارعين الصغار.[48] وعلى الرغم من وجود نقابات يُفترض أن تكون ممثلة مستقلة لمصالح المزارعين، إلا أنها معروفة بتحالفها الوثيق مع مختلف الوزارات الحكومية وتستغل مناصبها للحصول على فرص استثمارية ضمن القطاع الزراعي.[49]

وتفاقم تهميش المزارعين العراقيين نتيجة النيوليبرالية التي فُرضت على الاقتصاد بعد غزو الولايات المتحدة والمملكة المتحدة للبلاد في العام 2003. والأهم من ذلك، أن قوانين براءات اختراع البذور في العراق بعد العام 2003 – التي أُدخلت أصلاً عبر أمرٍ من السلطة المؤقتة للتحالف الذي عدل قانون براءات الاختراع لعام 1970 – سمحت لشركات البذور الدولية بتسجيل براءات اختراع للبذور في العراق وحظرت على المزارعين حفظ بذورهم وتكاثرها.[50] وعلى الرغم من إلغاء هذا القانون عام 2013، إلا أنه استُبدل بقانونٍ جديد يحمي في المقام الأول حقوق مربي البذور، ويجرم المزارعين الذين يتبادلون البذور المسجلة ببراءة اختراع ويحتفظون بها.[51] ونتج عن هذه العوامل مجتمعة استمرار الاعتماد على الشركات الدولية المُنتجة والمُستوردة للبذور في العراق، وحبس المزارعين في دوامة تراكم الديون. علاوة على ذلك، كما تقول نايومي كلاين، سعت سلطة التحالف المؤقتة إلى «إعادة تشكيل» العراق ليصبح «السوق الأكثر انفتاحًا في العالم»، وفتحت حدوده للتجارة غير المقيدة خلال شهرٍ من الغزو، بينما فككت الإنتاج الوطني وشبكات الضمان الاجتماعي.[52] ومنذ ذلك الحين، استولت النخبة السياسية

43 Caroline Zullo, "From Farm to Fork with Iraqi Farmers in Basra", Norwegian Refugee Council, 9 August 2022, https://www.nrc.no/perspectives/2022/from-farm-to-fork-with-iraqi-farmers-in-basra

44 مقابلة مع رئيس منظمة بيئية في الجبايش، 5 أيار/مايو 2025.

45 مقابلة مع رئيس منظمة بيئية في الجبايش ، 5 أيار/مايو 2025.

46 مقابلة مع موظف حكومي في البصرة، 6 أيار/مايو 2025.

47 مقابلة مع عضو في منظمة غير حكومية في أربيل، 8 أيلول/سبتمبر 2024.

48 مقابلات مع مزارعين في الهارثة والمُدينة، شمال البصرة، 3 و6 أيّار/مايو 2025؛ مقابلة مع موظف في منظمة دولية في بغداد، 8 أيّار/مايو 202 5/.

49 Baghdad Today, "Farmers' Associations...the Third Hand of Corruption Ravaging the Agricultural Sector...and Its President Faces Judicial Decisions" [Arabic], 27 September 2022, https://baghdadtoday.news/201653-.html

50 Schluwa Sama and Ansar Jasim, "Imperialism and Iraq's Agricultural System", Alameda Institute, 2024, https://alameda.institute/dossier/imperialism-and-iraqs-agricultural-system/ [Sama and Jasim, "Imperialism and Iraq"]

51 Iraqi Ministry of Justice, "Law No. 15 of 2013 on the Registration, Certification, and Protection of Agricultural Varieties", https://faolex.fao.org/docs/pdf/irq179248.pdf

52 Naomi Klein, The Shock Doctrine: The Rise Of Disaster Capitalism, Penguin, 2007, p. 339; Alaa Al-Tulaibawi, Pablo de Frutos Madrazo and Pedro Antonio Martín Cervantes, "Analysis of the Impact of Agriculture Goods Dumping in Iraq Using ARDI Methodology", Edelweiss Applied Science and Technology 8, no. 6 (2024), https://doi.org/10r4č.5521425768484/.v8i6.3048

في البلاد التي ترتبط غالباً بجماعات مسلحة حليفة لدول مجاورة مثل إيران، على حدود العراق وقطاعه الزراعي، ما أتاح لهم استيراد كميات كبيرة من المنتجات الزراعية التي غمرت السوق العراقية.[53] ونتيجة لذلك، وبحسب المنطقة، لا يوجد سوق على الإطلاق لمنتجات المزارعين المحليين أو يضطرون إلى بيع منتجاتهم بأسعار منخفضة للغاية.

كما أن تحول الاقتصاد العراقي إلى النيوليبرالية زاد من هشاشة وضع العمال الزراعيين والمزارعين. ومع ذلك، اقترح المُحاورون أن تواصل المنظمات الدولية محاولتها لمعالجة الأسباب الجذرية لهذه المشكلة، كما أوضح أحد المُحاورين الذي عمل سابقاً مع منظمة دولية معنية بالقضايا الزراعية:

> «لدينا مشروع مع منظمة دولية بشأن الصيد التجاري. كجزء من المشروع، وزعنا 27 ألف شبكة صيد وأطلقنا 10 آلاف بيضة سمك. والهدف هو منع الناس من استخدام الصيد الكهربائي الذي يستنزف مخزون الأسماك. كما أطلقنا خمس حملات توعية. لكن ماذا تفعل حين يقول لك أحدهم: «أنت تخبرني عن الطريقة الصحيحة للصيد، ولكن كيف أعيش؟ الصيد الكهربائي يوفر لي 4-5 كيلوغرامات من السمك، بينما يعطيني الصيد بالشباك 3-4 كيلوغرامات فقط. التوعية ليست كافية لشخص جائع، لا يمكنك تثقيفه إذا لم يملك طعاماً».[54]

كما يشير هذا التقرير، من غير المرجح أن يكون التكيّف مع تغيّر المناخ فعالاً إذا تم تصوره بمعزل عن القضايا السياسية والاقتصادية التي تجعل بعض المزارعين أكثر عرضة لتأثيرات تغيّر المناخ مقارنةً بغيرهم. وبالتالي، بدل الاكتفاء بتزويد المستفيدين بالمعدات، يجب أن تعالج التدخلات الأسباب التي تجعل بعض المزارعين يعيشون في فقر في المقام الأول، ويضطرون إلى استخدام تقنيات ضارة بالبيئة من أجل البقاء.

استراتيجيات التكيّف المحلية

من خلال دراسة استراتيجيات التكيّف المحلية التي يتبناها المزارعون العراقيون، تتضح الروابط بين الطبيعة والمجتمع بشكلٍ أكبر. ففي حين تتماشى هذه الاستراتيجيات إلى حدٍ ما مع الحلول التقنية التي تقدمها الحكومة والمنظمات الدولية، فإن ما يظهر فعلياً من مقابلات المزارعين هو أن هذه الحلول تُعتمد لديهم كوسيلة للتعامل مع الظواهر الجوية المتطرفة والتفاوض بشأن التفاوتات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تضعف قدرتهم على البقاء في ظل تغيّر المناخ.

مقاومة الجفاف والنيوليبرالية

نتيجة للتأثيرات المشتركة لسوء تخطيط السياسات وتغيّر المناخ والواردات غير المقيدة من الدول المجاورة، اختار العديد من المزارعين التخلي عن الزراعة كنشاط أساسي لهم لأنهم فقدوا القدرة على الاعتماد عليها كمصدرٍ رئيسي لكسب رزقهم. وبدلاً من ذلك، يبحثون عن وظائف حكومية أو يعملون كأُجراء يوميين أو يلتحقون بالجيش.[55] ومع ذلك، حتى عند ممارستهم هذه المهن الجديدة، أشار المتحدثون إلى أنهم لا يتخلون بالضرورة عن أراضيهم، بل يقلصون غالباً إنتاجهم ويعتمدون على الأرض لتأمين قوتهم.[56] وهكذا، انخفض مثلاً إنتاج الأرز في العام 2021 في عقرة – الواقعة في شمال كردستان والتي تشتهر بالأرز – بمقدار ثلاثة أضعاف بسبب تراجع مستويات المياه.[57] فأدت ندرة المياه في المنطقة إلى توقف بعض المزارعين عن زراعة الأرز، والتحول إلى زراعة عددٍ محدود من الأشجار المثمرة، بما فيها التين والجوز والرمان التي يستخدمونها لإطعام أسرهم قبل بيع الفائض في السوق. ولفت المتحدثون في هذه المناطق إلى أن التين كان مربحاً بشكلٍ خاص بسبب مذاقه الفريد – الناتج عن زراعته في المرتفعات – ما يجعله منافساً للمنتجات المستوردة.[58] كما أوضحوا أن اختيار التين يرجع إلى متانة أشجاره وقدرتها على مقاومة الظواهر الجوية المتطرفة المتزايدة في المنطقة.[59]

في جنوب العراق، ومع جفاف مناطق الأهوار، انتقلت العائلات التي كانت تعتمد سابقاً على الأهوار في معيشتها إلى مناطق مثل الزبير في البصرة.[60] هناك، يعملون كمزارعين مستأجرين، مستخدمين مهاراتهم لزراعة الطماطم وتقاسم الأرباح مع ملاك الأراضي أثناء موسم الحصاد، وأحيانًا لا يكسبون سوى 750 ألف دينار عراقي (570 دولارًا أميركيًا) في الموسم. وهو أقل بكثير من خط الفقر الوطني الذي بلغ، وفقًا لمسح البنك الدولي لعام 2021، 110,811 دينارًا عراقيًا (85 دولارًا

53 منذ عام 2013 على الأقل، حظرت كل من حكومة كردستان والحكومة الاتحادية العراقية استيراد بعض المنتجات الزراعية، لا سيما خلال موسم الحصاد، وفرضت رسومًا جمركية باهظة على منتجات أخرى، في محاولة لتحفيز وحماية الإنتاج المحلي. ومع ذلك، يستمر تهريب المنتجات الزراعية من دول مثل إيران وتركيا. لمزيد من المعلومات، انظر: "How Supply Chains Fuel", and TII Team, "Kurdistan Bans Imports of Agricultural Products from Iraq", The Insight International, 30 July 2016, https://theinsightinternational.com/kurdistan-bans-30-07-imports-iraq-2016 ["TII Team, "Kurdistan Bans Imports]

54 Al-Shakeri and Mansour, "How Supply Chains Fuel"; TII Team, "Kurdistan Bans Imports".

55 مقابلات مع مزارعين في عقرة، 29 آذار/مارس 2025، وفي مديانا، شمال البصرة، 6 أيار/مايو 2025، وفي بغداد، 9 أيار/مايو 2025.

56 مقابلات مع مزارعين في عقرة وجومان، 29 آذار/مارس 2025.

57 Naif Ramazan, "Akre Rice Production Decreases Threefold amid Water Shortages", Rudaw, 19 August 2021, https://tinyurl.com/yf4bytmy

58 مقابلات مع مزارعين في عقرة وجومان، 29 آذار/مارس 2025.

59 مقابلات مع مزارعين في عقرة، 29 آذار/مارس 2025؛ 964+ Media، «أشجار التين الصفراء المقاومة تتحدى برد الشتاء في قرية قاديراوا في كردستان»، 15 كانون الأول/ديسمبر 2023، https://en.964media.com/5747/

60 مقابلة مع ناشط عبر واتساب، 24 نيسان/أبريل 2025.

أميركيًا) شهريًا.[61] بدأ مزارعون آخرون في المنطقة بتحويل الأراضي الجافة إلى أراضٍ زراعية، فبدأوا بزراعة خضروات تتطلب كميات قليلة نسبيًا من المياه، بدلاً من زراعة المحاصيل كثيفة استهلاك المياه التي كانت تزرع سابقًا، مثل أنواع مختلفة من البطيخ والأرز.[62] في الجبايش الواقعة في محافظة ذي قار، وشمال البصرة، بدأ بعض المزارعين بالتركيز على زراعة البامية. فكما يوضح أحد المشاركين في المقابلات، لا تحتاج البامية إلى الري إلا مرة واحدة كل 72 ساعة، مقارنة بثلاث إلى أربع ساعات التي تحتاج إليها بعض أنواع الفاكهة.[63] علاوة على ذلك، وبسبب ارتفاع درجات الحرارة في المنطقتين، بدأ المزارعون بزراعة الخضروات، مثل البامية، في الشتاء باستخدام أنظمة الزراعة في الأنفاق المنخفضة، وحصادها في الربيع، ما يسمح بتمديد الموسم.[64] وهذا يعني أنه يمكنهم خلال أشهر الصيف زراعة المحاصيل الصيفية مثل الذرة التي تُستخدم كعلفٍ للحيوانات.[65] وفي الأهوار يوجد طلب مرتفع على العلف بسبب تراجع المراعي الخضراء التي ترعى فيها الجواميس، ما يجبر العديد من السكان على شراء العلف بأسعار مبالغ فيها، ويضطر كثير منهم إلى بيع جزء على الأقل من مواشيهم لتغطية التكاليف. كما وفر التحول المتزايد إلى الزراعة في هذه المناطق فرص عمل للسكان الذين فقدوا وسائل عيشهم التقليدية، مثل تربية الجاموس وصيد الأسماك والصيد البري. وهو أمر مهم بشكلٍ خاص للنساء اللواتي يجدن صعوبة كبيرة في إيجاد فرص عمل في المناطق الحضرية بسبب الأعراف الأبوية.[66]

ويتجه المزارعون في جنوب العراق بشكلٍ متزايد نحو الابتعاد عن أشجار النخيل التي تستهلك كميات كبيرة من المياه وتتطلب الكثير من الاستثمار والصيانة. وبسبب تدمير أشجار النخيل المحلية في البلاد وارتفاع الملوحة وانتشار التصحر، بدأ المزارعون باستيراد أشجار من الإمارات العربية المتحدة وأصناف معدلة وراثياً من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، يُعتقد أنها أكثر إنتاجية وقدرةً على تحمل التغيّرات المناخية.[67] في حين كان العراق يضم سابقاً 600 نوع من أشجار النخيل، أدت هذه الممارسات الحديثة إلى خلق زراعة أحادية، ما جعل أشجار النخيل العراقية أكثر عرضة للأوبئة.[68]

كما تسبب ارتفاع الجفاف وندرة المياه إلى انتشار بعض الأمراض.[69] فأوضح مثلاً العديد من المزارعين المُحاورين أن أشجار النخيل الخاصة بهم أُصيبت بعثّ الغبار، ما يمنع الثمار المصابة من النمو أو النضج، ويمكن أن يؤدي إلى خسارة 50-80 في المئة من المحصول.[70] وكما قال أحد المُحاورين: «بدأنا ندرك أن الأموال التي كنا ننفقها لمحاولة الحفاظ على الأشجار كانت أكثر بكثير [من] الأرباح التي كنا نجنيها من بيع التمور».[71] ونتيجة لذلك، تحول العديد من المزارعين في الجنوب الآن إلى زراعة أشجار السدر التي تُعد أكثر إنتاجيةً وفقًا للمتحدثين، وتحقق عائدًا ماليًا أفضل من النخيل.[72] كما يمكن حصادها خلال عامين من زراعتها، في حين تحتاج أشجار النخيل إلى خمس سنوات لتثمر. كما تتحمل أشجار السدر الملوحة بشكلٍ أفضل، ما قد يؤدي إلى تحسين مذاق الثمار، وتحتاج إلى كميةٍ أقل من المياه مقارنة بأشجار النخيل التي تموت غالباً بسبب ارتفاع مستويات الملوحة والجفاف.

في حين أن كلا الحالتين – التحول نحو الزراعة في الأهوار أو الابتعاد عن زراعة النخيل في جنوب العراق – تمثل استراتيجيات للتعامل مع تغيّر المناخ، فإنهما تشكلان أيضًا خسارة لجزء من التراث الثقافي العراقي. ففي الأهوار خصوصاً، يعكس هذا التغيير تحولًا نحو أنماط زراعة مستقرة، وهي ممارسة قاومها سكان هذه المنطقة منذ أوائل القرن العشرين على الأقل. فلطالما اعتُبر هذا جزءًا من المحاولات الاستعمارية والاستبدادية لطمس وتدمير أسلوب حياتهم.[73]

كما أدى تزايد الظواهر الجوية المتطرفة إلى تراجع الإنتاجية الزراعية، وجعل مواسم الحصاد أكثر تقلباً وصعوبة في التنبؤ. ولمواجهة هذه التحديات، تحول بعض المزارعين في البصرة، ولا سيما المستأجرون منهم، عن زراعة محاصيل مثل الطماطم، التي تتطلب تكاليف إنتاج مرتفعة وتباع غالباً بأسعار منخفضة بسبب منافسة الواردات، ما يقلص هوامش ربح المزارعين. وبدلاً من ذلك، أوضح عدد من المُحاورين أنهم بدأوا بزراعة الأعشاب لأنها منخفضة التكلفة ويمكن بيعها على مدار العام. وتمنحهم تنوعاً يتيح الاعتماد على محاصيل أخرى لكسب رزقهم في حال فشل أحدها أو

61 World Bank Group. “Poverty and Equity Brief Middle East and North Africa: Iraq”, April 2021, https://tinyurl.com/3xhevswh

62 مقابلات مع مزارعين في الجبايش، 5 أيار/مايو 2025.

63 مقابلات مع مزارعين في الجبايش، 5 أيار/مايو 2025.

64 مقابلات مع مزارعين في الجبايش، 5 أيار/مايو 2025؛ مقابلة مع ناشط بيئي من البصرة عبر واتساب، 2 أيار/مايو 2025؛ 964+ Media، «زيادة زراعة البامية الشتوية في شمال البصرة مع زيادة المحاصيل»، 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2024، https://en.964media.com/28427/

65 مقابلة مع مزارعين في الجبايش، 5 أيار/مايو 2025.

66 مقابلة مع رئيس منظمة بيئية في الجبايش، 5 أيار/مايو 2025.

67 Ulf Laessing, “Iraq: 70,000 Date Palms to Baghdad”, Reuters, 27 June 2018, https://tinyurl.com/bp6h4jhr

68 Salman Amin, “Iraq’s Date Palms: Rescuing a National Icon”, Al-Monitor, 17 July 2022, https://www.al-monitor.com/originals/202207//iraqs-date-palms-rescuing-national-icon

69 مقابلات مع مزارعين في الهارثة، شمال البصرة، 3 أيار/ مايو 2025، وفي بغداد، 9 أيار/ مايو 2025.

70 Ibrahim J. Al-Jboory and Taha M. Al-Suaide, “Effect of Temperature on the Life History of the Old World Date Mite, Oligonychus Afrasiaticus (Acari: Tetranychidae)”, in Trends in Acarology: Proceedings of the 12th International Congress, Maurice W. Sabelis and Jan Bruin (eds.), 2010, pp. 361–363, https://doi.org/10.100758_5-9837-481-90-978/

71 مقابلة مع ناشط بيئي من شمال البصرة عبر واتساب، 2أيار/ مايو 2025.

72 مقابلة مع مزارعين في الهارثة، شمال البصرة، 3 أيار/ مايو 2025، وفي الجبايش، 5 أيار/ مايو 2025؛ محمد عطي، «أزمة المياه في العراق تدفع المزارعين إلى التمسك بأشجار السدر»، رويترز، 28 آذار/مارس 2025، https://tinyurl.com/5dmmwh3u

73 Ariel I. Ahram, “Development, Counterinsurgency, and the Destruction of the Iraqi Marshes”, International Journal of Middle East Studies 47, no. 3 (2015) pp. 447–466, https://doi.org/10.1017/S0020743815000495

إغراق السوق العراقية فجأة بواردات معينة من الخارج.[74] وفي حين لا تساعد الأرباح المتواضعة من بيع هذه الأعشاب كثيراً في مكافحة حالة الهشاشة المتزايدة التي يعيشونها – ذكر المزارعون أنهم يجنون 2000 دينار عراقي مقابل كل عشر رزم من الأعشاب (1.5 دولار أميركي) يتم بيعها. لكن بدت هذه الاستراتيجية مفيدة بشكل خاص للمزارعين الصغار والمستأجرين الذين لا يستطيعون منافسة كبار المزارعين الذين ينتجون محاصيل معينة بكميات كبيرة. وبالمثل، قال مزارع جرت مقابلته في عقرة الواقعة شمال العراق، أنه بدأ بتربية الأغنام ليتمكن من بيع حليبها أو لحمها في السنوات التي لا تهطل فيها الأمطار الكافية لزراعة الأرز.[75] وذكر مزارعون آخرون أنهم أنشأوا مشاتل نباتية لتأمين مصدر دخل إضافي وأكثر استقراراً مقارنةً ببيع المنتجات الزراعية. وتحولت مناطق مثل الكريعات في شمال بغداد – المعروفة تاريخياً بغابات النخيل وزراعة محاصيل مثل الزنجبيل والجزر والباذنجان والطماطم – إلى مشاتل نباتية بالكامل.[76]

التعامل مع ندرة المياه والهرميات السياسية

كما اعتمد المزارعون على تقنيات مختلفة للحفاظ على المياه وإدارة ندرتها. ففي شمال العراق، أنشأ بعض المزارعين أحواضاً لتجميع مياه الأمطار من أجل ماشيتهم كوسيلة للتعامل مع هطول الأمطار غير المنتظم.[77] وأوضح آخرون أنهم أعادوا استخدام مياه الصرف الزراعي.[78] فيُعاد مثلاً جمع تجميع مياه الري المستخدمة في زراعة الأرز وخلطها بالمياه العذبة وإعادة استخدامها مرة ثانية.[79] ولكن على عكس المياه المعاد تدويرها، لا تُعالج هذه المياه وقد تكون ملوثة أحياناً أو تحتوي على مستويات مرتفعة من الملوحة، ما قد يؤدي إلى انخفاض غلة المحاصيل، ويشكل خطرًا على صحة الإنسان والماشية، ويساهم في تلوث مصادر المياه.[80]

ومع ذلك، فإن الاستراتيجية الأكثر شيوعًا للتعامل مع ندرة المياه بين المزارعين هي حفر آبار المياه. فحتى عام 2023، سُجّل في العراق ما مجموعه 110 آلاف بئر مياه.[81] وأوضح أحد وجهاء المجتمع المحلي في الحمدانية الواقعة شمال العراق، أن السكان يعرفون مواقع الحفر والعمق المناسب اعتماداً على معارف متوارثة عبر الأجيال.[82] لكنه أضاف أن الآبار كانت تُحفر في البداية لتأمين مياه الشرب، ولم يبدأ استخدامها للأغراض الزراعية إلا في العقد الماضي.

في مناطق مثل النجف وكربلاء وسط العراق، ازداد استخدام المياه الجوفية للري بشكلٍ كبير، إذ تؤجر الحكومة أراضي صحراوية للمزارعين بسعر 4 دولارات أميركية للهكتار لزراعة القمح.[83] ويعد اللجوء إلى المياه الجوفية حلاً موقتًا يتيح الحفاظ على انخفاض أسعار المواد الغذائية الأساسية مثل الخبز ويحافظ على عمل المزارعين. ومع ذلك، بالنسبة إلى بعض المزارعين، يمثل ذلك أيضًا شكلاً من اللامركزية، إذ يخفف من اعتمادهم على هطول الأمطار غير المنتظم أو على توزيعات المياه الحكومية. وتبرز أهمية ذلك لأن مسألة توزيع المياه وكمياتها شديدة التسييس وتخضع لقرارات السياسيين – ففي بعض الأحيان يُعاد توجيه حصص من المياه إلى محافظات معينة كوسيلة لتهدئة الاضطرابات واسترضاء ناخبيهم في الفترة التي تسبق الانتخابات.[84] في الواقع، حتى مسألة تحديد الآبار التي تعتبر قانونية ترتبط غالباً بعلاقات المزارعين مع النخبة السياسية والمالية في البلاد. ومع ذلك، فإن استخدام المياه الجوفية للري هو أيضاً استراتيجية قصيرة النظر أدت بالفعل إلى الاستخراج المفرط وتراجع مستويات المياه الجوفية في بعض المناطق.[85] كما أنه في مناطق مثل الزبير، التي لطالما اعتمد مزارعوها على الآبار في الري، تواجه اليوم تلوثاً متزايداً في مياهها الجوفية بعناصر هيدروكربونية ناجمة عن أنشطة الصناعات النفطية، ما يجعلها غير صالحة للاستهلاك البشري.[86]

نحو نهج تحويلي؟

بالإضافة إلى استراتيجيات التكيّف الفردية الموضحة أعلاه، تعاونت شبكات النشطاء العراقيين العاملة محليًا وعبر الحدود مع المزارعين لتشجيع استخدام ممارسات زراعية أكثر استدامة وشمولية. مثلاً، من خلال حشد موارد الجاليات العراقية في الخارج، اشترت مجموعة من المزارعين ورجال

74 مقابلات مع مزارعين في الهارثة، شمال البصرة، 3 أيار/مايو 2025.

75 مقابلات مع مزارعين في عقرة، 29 نيسان/أبريل 2025.

76 مقابلة مع مزارع في بغداد، 9 أيار/مايو 2025.

77 مقابلة مع منظمة مجتمع مدني في أربيل، 1 أيار/مايو 2025.

78 مقابلة مع مزارع في بغداد، 9 أيار/مايو 2025.

79 Abdel Karim Abdullah Bilal, "Potential for Using Wastewater in Iraq" [Arabic], Tareeq Al-Shaab, 16 January 2023, https://www.tareeqashaab.com/index.php/sections/articles/639012-49-19-16-01-2023-

80 l Economic and Social Commission for Western Asia (ESCWA), "Term: Drainage Water", n.d., https://www.unescwa.org/ar/sd-glossary/مياه-الصرف-البزل

81 Timour Azhari and Ahmed Saeed, "Desert Wells Help Iraq Harvest Bumper Wheat Crop as Rivers Dry", Reuters, 30 May 2023, https://tinyurl.com/ycxhevuz

82 مقابلة مع أحد وجهاء مجتمع محلي في الحمدانية، 30 نيسان/أبريل 2025.

83 France 24, "Iraq's Drought-Doomed Farmers Turn to Groundwater to Boost Agriculture", 25 April 2025, https://www.france24.com/en/live-news/20250425-iraq-farmers-turn-to-groundwater-to-boost-desert-yield

84 Hayder Al-Shakeri, "Tackling Barriers to Climate Change in Iraq", Kalam, 1 March 2024, https://kalam.chathamhouse.org/articles/tackling-barriers-to-climate-reform-in-iraq/ [Al-Shakeri, "Tracking Barriers"]

85 Al-Shakeri, "Tracking Barriers".

86 Wasan S. Al-Qurnawi et al., "Investigation of the Hydrocarbon Contamination of the Dibdibba Aquifer in Al-Zubair Area, Southern Iraq", IOP Conference Series: Earth and Environmental Sciences 1300, Third Scientific Conference of Iraqi Desert Geology, 13-15 December 2023, Ramadi, Iraq, https://iopscience.iop.org/article/10.1088012023/1/1300/1315-1755/

الأعمال 20 ألف فدان من الأراضي في السماوة جنوب العراق، وأنشأوا مزرعة تجريبية لاختبار وتطبيق ممارسات الزراعة المستدامة. إلى جانب عدد من المزارع الأخرى في بغداد، اعتمدت هذه المبادرات مبادئ الزراعة المستدامة والزراعة العضوية لتشجيع الزراعة الأكثر استدامة، ومن ضمنها استخدام الأسمدة العضوية (التسميد) وتربية الماشية (مثل الجمال) لتجديد التربة وزراعة أنواع مختلفة من الأشجار، بما فيها «أشجار الدعم» كوسيلة لتقليل الملوحة في التربة.[87] ويعمل نشطاء آخرون مع المزارعين المحليين على تعزيز الزراعة الحرجية، فبالإضافة إلى زراعة المحاصيل، يزرعون الأشجار والشجيرات على أراضيهم التي يمكن أن تساهم في تحسين صحة التربة والمحصول.[88] يمكن اعتبار ممارسات مثل الزراعة الحرجية والزراعة المستدامة تحولات نوعية في التفكير الزراعي، فهي لا تركز على الكفاءة والحجم فحسب – كما هو الحال في الاستراتيجيات الزراعية التقليدية – بل تجعل صحة البيئة ومرونتها محوراً رئيسياً.[89] وفي الوقت نفسه، تحمل هذه الممارسات فوائد اجتماعية واقتصادية، من ضمنها مساعدة المزارعين على تجنب الديون في أوقات الحاجة من خلال بيع الحطب والأعلاف والفاكهة.[90]

علاوة على ذلك، شكّل تدمير غارة جوية أميركية في العام 2003 للبنك المركزي للبذور في العراق الذي كان يحتوي على نحو 1400 نوع من البذور، نقطة تحول كبرى في مسار الأمن الزراعي. ففي أعقاب ذلك، نشأت مجموعة من النشطاء الذين استقدموا بذوراً محلية أصيلة من بنوك البذور في جميع أنحاء العالم.[91] وتقاسموا هذه البذور مع المزارعين وتبادلوا المعرفة حول استخراج البذور وتكاثرها – فَفُقدت الكثير من هذه الممارسات نتيجة المركزية الزراعية خلال حكم صدام حسين والسيطرة المؤسسية على الزراعة بعد عام 2003.[92]

توفر هذه المبادرة التصاعدية لمحة محتملة عن الشكل الذي قد يتخذه النهج التحويلي للتكيّف مع تغيّر المناخ. فهي تتيح للمزارعين تحدي الهياكل الهرمية التي قد تمنعهم من الوصول إلى هذه الموارد، سواء بسبب غياب النفوذ السياسي الذي كان – منذ التسعينيات على الأقل – أساسياً للبقاء في القطاع الزراعي، والإمبريالية التي أدت إلى تدمير التراث الزراعي العراقي. والأهم أنها تفعل ذلك بشكلٍ أفقي وخارج الإطار الرسمي، ما يُبقي المزارعين تحت رحمة الحكومة والشركات وأنظمة القيم التي تحرك السوق وتُسوّق البذور. وبهذه الطريقة، تغيّر المبادرة هياكل السلطة، وتقلل هشاشة المزارعين، وتعالج جوانب من التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية التي يواجهونها. وفي الوقت نفسه، تساهم في مكافحة تغيّر المناخ عبر تقليل استخدام المبيدات الكيميائية، وتساعد على زيادة التنوع البيولوجي عبر إحياء بذور أكثر تكيّفاً مع البيئة.

الخلاصة

في مواجهة التغيّرات المناخية السريعة، تبنت الحكومة العراقية والمنظمات الدولية العاملة في البلاد رؤية تعتبر الطبيعة منفصلة عن المجتمع. ودفعهم ذلك إلى التعامل مع التكيّف من منظور تقني، يركز غالباً على توفير معدات زراعية مستدامة، من دون معالجة كاملة لكيفية تأثير القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الممارسات الزراعية. ومع ذلك، تظهر استراتيجيات التكيّف المحلية التي يتبناها المزارعون أن الظواهر المناخية القاسية ليست سوى جزء من التفاوتات الهيكلية الأوسع نطاقاً التي يجب تجاوزها من أجل البقاء في بيئات تزداد عدائية.[93] ولهذا السبب، لا يمكن في حساباتهم التفكير في اعتماد محاصيل مقاومة للمناخ بمعزل عن النظام السياسي والاقتصادي الذي حرم المزارعين من سوقٍ محلي لمنتجاتهم. ولا يمكن معالجة مشكلة ندرة المياه من دون التصدي للفساد الذي دفع المزارعين إلى البحث عن حلول غير ملائمة. في السنوات الأخيرة، ظهرت أيضًا مجموعات ناشطة مختلفة – سواء في البلد أو في الشتات – تحاول إعادة التفكير في أنظمة قيمية ونهج بديلة تجاه الطبيعة وتطبيقها، وهي تتحدى هياكل السلطة القائمة التي جعلت بعض المزارعين أكثر عرضة لتغيّر المناخ من غيرهم.

إن استراتيجيات البقاء الفردية للمزارعين والمجموعات الناشطة التي تتبع نهجاً شاملاً تدفعنا إلى فهم البيئة على أنها نتاج مشترك مع المجتمع وليست منفصلة عنه، ما يكشف الحاجة إلى هياكل اقتصادية وسياسية واجتماعية أكثر إنصافاً في العراق. وبالتالي، بدلاً من الاكتفاء باعتماد نهج تكنوقراطي من أعلى إلى أسفل للتكيّف مع المناخ، يحث هذا المنظور على إعادة التفكير في كيفية تشكيل المجتمع العراقي نفسه. بناءً على ذلك، يُفضل أن تدرس الأبحاث المستقبلية كيفية اختبار أفراد ومجموعات أخرى، لا سيما في حركة السيادة الغذائية، لفرضيات التكيّف التحويلي، وجدوى وإمكانية التعاون والتكيّف الواسع النطاق لهذا النهج في جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

87 مقابلة مع مؤسس منظمة مجتمع مدني عبر واتساب، 1 تشرين الأول/أكتوبر 2024.

88 مقابلة مع رئيس شبكة السيادة الغذائية في بغداد، 14 أيلول/سبتمبر 2024.

89 Sam J. Buckton et al., "The Regenerative Lens: A Conceptual Framework for Regenerative Social-Ecological Systems", One Earth 6, no. 7 (2023) pp. 824–842, https://doi.org/10.1016/j.oneear.2023.06.006

90 Amy Quandt, Henry Neufeldt and Kayla Gorman, "Climate Change Adaptation through Agroforestry: Opportunities and Gaps", in "Adaptation to Climate Change in Food Systems", Helen Gurney-Smith, Toshihiro Hasegawa and Rachel Bezner Kerr (eds.), special issue, Current Opinion in Environment and Sustainability 60 (2023), https://doi.org/10.1016/j.cosust.2022.101244 [Quandt, Neufeldt and Gorman, "Climate Change Adaptation"]

91 Quandt, Neufeldt and Gorman, "Climate Change Adaptation".

92 Sama and Jasim, "Imperialism and Iraq".

93 Taylor, "Rethinking Climate Change".

مبادرة الإصلاح العربي

مبادرة الإصلاح العربي مؤسسة بحثية رائدة للبحوث الفكرية المستقلة، تقوم، وبشراكة مع خبراء من المنطقة العربية وخارجها، باقتراح برامج واقعية ومنبثقة عن المنطقة من أجل السعي إلى تحقيق تغيير ديمقراطي وعدالة اجتماعية. تقوم المبادرة بالأبحاث السياسية، وتحليل السياسات، وتقدم منبراً للأصوات المتميّزة وتلتزم في عملها بمبادئ الحرية والتعددية والمساواة بين الجنسين.

contact@arab-reform.net
باريس - بيروت - تونس